٨٥

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدارك للتنمية والدراسات الإسلامية

منهج الامام علي (عليه السلام) في مواجهة معارضيه

الشيخ ستار الدلفي، الأستاذ ياسين خضير

1431هـ - 2010م

منهج الامام علي-عليه السلام- في مواجهة معارضيه

إن ابتعاد السلطة الحاكمة عن النهج الذي يضمن حقوق الرعية ويحافظ على قيمها وثوابتها يستدعي وقوف الامة كمعارضة لذلك المنهج، وفي هذا البحث سُلط الضوء على مستويات المعارضة وأشكالها وموقف الامام أمير المؤمنين عليه السلام منها من جهة ومنهجه عليه السلام في مواجهة معارضيه أيام خلافته من جهة أخرى.

المقدمة:

مستويات المعارضة وأشكالها

للمعارضة السياسية عدة مستويات ويعتمد ذلك على مدى ابتعاد السلطة الحاكمة عن النهج الذي يضمن حقوق الرعية ويحافظ على قيمها وثوابتها، ويمكن أن نحدد تلك المستويات بالآتي[١]:

أ) التحذير: وهو أولى إشارات تنبيه الحاكم الظالم، والذي يعني الرفض القلبي والعقلي لكل مظاهر الظلم: (إن من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد برئ وسلم)[٢]، فالإمام ينبه إلى مسألة مهمة وهي أن القبول القلبي بالظلم وعدم استهجانه من موارد المساءلة يوم القيامة، فلا بد من رفض الباطل ولو قلبياً لئلا يستمريء الإنسان الظلم ويعتاد عليه مما يتسبب في خضوع الأمة وإضعافها، وهذا ما يعبر عنه بالاستنكار القلبي في المفهوم الفقهي.

ب)النقد والتقويم: والمستوى الثاني يكون من خلال الاشارة إلى مواطن الخلل بعد تشخيصها، ويتم عبر توجيه النقد إلى الحاكم الظالم، حتى أن الإمام ع عدَّه من اعظم الجهاد، فقد روي عنه: (**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**)[٣]، وفي ذات السياق قال: (**ومن أنكره بلسانه فقد أوجر**)[٤].

ج) المقاطعة والعصيان المدني: وهذا المستوى من المعارضة السياسية له عدة صور وانماط منها: مقاطعة الحاكم وعدم الامتثال لأوامره أو حضور مجالسه وكذلك عدم تقديم العون له، فقال ع: (**لا تطرق أبواب الظالمين للاختلاط بهم والاكتساب معهم، وإياك أن تعظمهم وأن تشهد مجالسهم بما يسخط الله عليك**)[٥]، وروى

---

(١) ينظر: الفكر السياسي في رؤية الإمام علي عليه السلام، علي جميل الموسوي، ص٢١٧.
(٢) شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ج٣، ص٤١.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٥.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٠.
(٥) شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ج٣، ص٤٦.

عنه قوله: **(العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء)**[٦]، والهدف من ذلك التضييق على الظالم وهو احد وسائل الضغط عليه بهدف منحه فرصةً ليراجع سياسته وطريقة اداءه.

د) مرحلة التغيير والعزل: ويُعد بمثابة الانتفاضة بوجه الجور واعلان الثورة والتمرد، وهو آخر المستويات، ولا يُلجأ إليه إلا بعد اليأس من حصول الاثر من المستويات السابقة، **(بالتظاهر السلمي ومن ثم العصيان وبعدها إعلان الثورة المسلحة)**[٧].

هـ) وأشار الإمام إلى هذا المستوى من المعارضة بقوله: **(ومن انكره بسيفه ليكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور قلبه اليقين)**[٨].

هذه المراحل والمستويات من المعارضة السياسية تؤكد مبدأ سيادة القيم واولوية العدل والانصاف في التصدي لكل مظاهر الانحراف، مراعية التدرج المرحلي مع الحفاظ على هيبة الدولة والحقوق العامة والخاصة.

(٦) تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، ١٩٧٧، ص٦٣.
(٧) حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام، غسان السعد، ص٦٠.
(٨) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٥، ص٣٣.

أشكال المعارضة

اتخذت المعارضة السياسية عبر التاريخ أشكالاً عدة للتعبير عن سخطها ورفضها لأي انحراف في قيادة الأمة وإدارة شؤونها، ويمكن تلخيص تلك الأشكال بالآتي:

١. المعارضة المسؤولة والهادفة: إذ يعمل من ينتهجها على تحقيق أهداف عليا تخدم الأمة، ويسعى نحو تحقيق ذلك عبر الوسائل المشروعة وحسب ما يناسب المرحلة من ظروف ومعطيات.

وقد جسَّد الإمام ع ذلك عملياً عندما جاء اليه جماعة وعرضوا عليه قيادتهم لإسقاط حكومة الخليفة عثمان بالقوة واستغلال حالة الانقسام، فصاح بهم الإمام وطردهم[٩]، وكان الإمام ع يقوم بدور التهدئة والوساطة بين الخليفة ومعارضيه، بل بلغ به حرصه على وحدة الأمة أن يقدم ولديه الحسنين لحماية بيت الخليفة عندما حاصره بعض المعارضين لسياسة أفراد من ولاته، وهذا يكشف أن رفض الامام لسياسة بعض ولاة الخليفة الثالث لم يكن مبرراً له لإسقاط الخلافة والذهاب بالأمة إلى المجهول بعد أن سنحت له الفرصة القيام بذلك، إلا أنه كان يعارض معارضة هادفة، تطمح إلى النهوض بواقع الأمة وتصحيح مسارها، وليس استغلال الفرص أو انتهاز الاوضاع المضطربة لتحقيق مكاسب شخصية ولو على حساب مصلحة الامة، وهذا ما يعبر عنه بالمعارضة الهادفة.

٢. المعارضة المشوشة الاهداف: وعادة ما تكون هذه المعارضة مفتقرة للفهم السياسي والبعد التحليلي لمفهوم الدولة، إذ ينقصها الوعي الذي يؤهلها لاتباع سبل كفيلة بتحقيق غاياتها، وقد تطابق المعارضة الهادفة في طموحها وشعاراتها وفي الكثير من الأمور النظرية، ولكن تختلف معها في المنهج والاسلوب الذي تتبعه لتحقيق ما تصبو إليه، فعادة ما تميل المعارضة من هذا النوع إلى اتخاذ العنف سبيلاً لغرض إراداتها، وفي

(٩) ينظر: شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ج٣، ص٢٣٢.

الحقيقة إن هكذا نوع من المعارضة غالباً ما يكون مبتلياً بالجهل وغياب التخطيط وعدم النضج السياسي، ومن ابرز هذا النوع من المعارضة هم الخوارج الذين انشقوا عن جيش امير المؤمنين علي ع محتجين على صلحه مع معاوية، فكانت الذهنية السياسية لديهم مشوشة حتى انهم اتخذوا من التكفير والقتل منهجاً لهم للوصول إلى اهدافهم في إقامة حكم الله كما يزعمون، فقتلوا بعضاً من صحابة رسول الله (ص) ومثَّلوا ببعض من قتلوه وأباحوا اموال خصومهم بحجة كفرهم، مما اضطر الإمام (ع) إلى مقاتلتهم في معركة النهروان بعد أن صاروا خطراً على جسد الأمة الإسلامية ورفضهم لكل محاولات الامام ع في ردعهم من خلال المحاججة والحوار[١٠]، وقد يشترك هذا النوع من المعارضة في الشعارات التي ترفعها، ولكن تختلف معها في الوسائل والاليات التي تتبعها لتحقيق اهدافها.

٣. المعارضة الانتفاعية: وتسعى هذه المعارضة إلى جعل السلطة مغنماً تعمل على الفوز به وبشتى الوسائل، فتنتهك الحرمات وتسفك الدماء ولا تقيم للشرع وزناً، وقد تتخذ شكلاً مخفياً للوصول إلى مآربها من خلال حياكة الدسائس والمؤامرات للإطاحة بالحاكم وجهازه الاداري، كما حصل ذلك في خلافة عثمان بن عفان (رض) إذ حاول بعض المنتفعين استغلال الفتنة التي حصلت من اجل الوصول إلى مناصب تحقق لهم بعض المطامع الدنيوية، متخذين من شعار الاصلاح ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غطاءً لهم، وحصل ذلك ايضاً في خلافة الإمام علي ع فكانت نتائج ذلك معركة الجمل وموقعة صفين[١١].

منهج الامام علي (ع) في التعامل مع معارضيه

لقد قدم لنا التاريخ السياسي للإمام علي ع أروع الصور في كيفية التعامل مع الخصوم، وقد وضع أسساً وضوابط تحدد ملامح العلاقة ما بين رأس السلطة ومعارضيه،

(١٠) ينظر: غزوات علي بن ابي طالب، جعفر النقدي، دار الاندلس، ط١، بيروت، ٢٠٠٩، ص٧١.
(١١) ينظر: المصدر نفسه، ص١٣٣.

وبيّن الآليات والوسائل التي يجب اتباعها مع المعارضة بكافة اشكالها، وفي حال السلم والحرب، وهذا ما نتطرق اليه في مطلبين بإذن الله تعالى.

المنهج السلمي

تنوعت اساليب الإمام علي ع في تعامله مع معارضيه ومنذ الايام الاولى لخلافته وحتى آخر أيام حياته، ففي الوقت الذي لم تشهر المعارضة سلاحاً بوجه الدولة ولا تهدد كيانها، يتبع معها منهجاً سلمياً وإنسانياً يكفل حرية الرأي للآخر.

فالحرية من منظور الإمام علي ع هي حق يمنح للفرد والجماعة بغية أداء وظيفة اجتماعية هدفها جلب الخير للجماعة، لذا فهو يرى **(أن الحرية هي القاعدة، وان القيد عليها هو الاستثناء، تغليباً لمصلحة الامة على مصالح الأفراد، وما عدا ذلك فإن الحرية تملأ حيزاً كبيراً من فلسفة الإمام السياسية، ومن حرص حكومته على تنفيذ النصوص المتعلقة بها بدقة لا انحراف فيها، إلا أن حرية الرأي قد استحقت منه اهتماما خاصاً سببه إدراكه العميق بأنها أساس الحكم الشوري الصالح، وهنا يمكن احساسه بالمسؤولية بمناهضة اساليب السلطة التي تؤدي الى كبت الحريات مما يقود إلى مصادرة إرادة الرعية وتعطيل دورها في أداء وظيفتها السياسية)**[١٢].

وهناك الكثير من الامثلة التي تبين مدى احترام الامام ع وحرصه على أن يكون الناس أحراراً في آرائهم وتعبيرهم عن قناعاتهم ومنذ الايام الاولى لخلافته، فقد ترك من لم يبايعه دون معاتبة أو تضييق، حتى أنه ردّ على من طالبه بإجبار الناس على الدخول في بيعته قائلاً: **(لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا)**[١٣].

(١٢) فكرة الحريات العامة والحقوق الفردية عند الامام علي عليه السلام، عدنان نعمة، مجلة الثقافة الاسلامية, العدد ١٧, دمشق, ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م, ص٩٣.

(١٣)الفتوح، ابن أعثم, ج٢, ص٢٥٦, ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة, ج٤, ص٨؛ وينظر: ابن قتيبة؛ الامامة والسياسة, ج١, ص١٢٧.

وهذا الحال لا يقتصر على ايام السلم، بل حتى وهو بحال يحتاج فيه الى أنصار ومعاضدين لمواقفه، فمثال ذلك عندما عزم على السير الى البصرة لإخماد الفتنة وقمع التمرد الذي يضر بأمن الناس، فدعا الناس الى نصرته والوقوف بجانبه، لكن الامر اشتد على بعضهم وكانوا يقولون له: **(والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الامر لمشتبه علينا، ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر)**[١٤]، والإمام لم يكرههم على ان ينحازوا اليه بل تركهم دون أن يعاتبهم مراعياً حريتهم الفكرية والسياسية.

ومما زاد **(أجواء الشك والخوف من الإقدام على قتال أهل القبلة، المواقف التي تبناها بعض الصحابة البارزين من الحرب، ولا سيما من اعتزل بيعة الامام علي ع اصلاً، ومنهم سعد بن وقاص الذي أجاب دعوة الامام للخروج)**[١٥] معه بالقول: **(... فأعطني سيفاً له لسان وشفتين يعرف المؤمن من الكافر حتى اقاتل معك من خالفك ... فقال علي ع: يا سعد: أترى لو أن سيفاً نطق بخلاف ما نزل به جبريل ع هل كان إلا شيطاناً، ليس هكذا يشترط الناس على واليهم...)**[١٦].

وأرسل علي ع الى محمد بن مسلمة الانصاري ليلتحق به، فقال: **(إنَّ رسول الله ص أمرني اذا اختلف الناس ان اخرج بسيفي فأضرب به عرض أحد حتى ينقطع فاذا انقطع اتيت بيتي فكنت فيه لا ابرح حتى تأتيني يد خاطفة او منه قاضية ... فخلى سبيله)**[١٧].

وبعث الى اسامة بن زيد بن حارثة يدعوه لينضم اليه فأجابه: **(عاهدت الله ان لا اقاتل رجلا يقول: لا اله الا الله)**[١٨].

---

(١٤)تاريخ الرسل والملوك، الطبري, ج٤, ص٤٤٦.
(١٥) الإمام علي وآفاق المعارضة، ختام راهي مزهر، ص١١٦.
(١٦) الفتوح، ابن اعثم, ج٢, ص٢٥٨, الطبقات، ابن سعد, ج٣, ص١٤٣؛ البستي: العزلة, ص١٩.
(١٧) الطبقات، ابن سعد, ج٣, ص٢٤٤؛ ابن ماجه, سنن ابن ماجه, ص٦٧٢؛ ابو مختلف، نصوص, ج١, ص٩.
(١٨) الاخبار الطوال, الدينوري، ص٢٠٥؛ البلاذري: انساب الاشراف, ج٣, ص٩.

وفي اثناء تحشيد الامام لقواته دعا وهب بن صيفي الانصاري للخروج معه، فرد وهب قائلاً: **(ان خليلي وابن عمك عهد الي اذا اختلف إن اتخذ سيفاً من خشب فقد اتخذته، فإن شئت خرجت به معك ... فتركه)**[١٩].

لقد ترك الامام معاتبة هؤلاء ولم يتهم أي منهم، ورفض رأي الذين أشاروا عليه بمعاقبة من يتخذ موقفاً مخالفاً لموقفه وقال: **(بل أدعهم ورأيهم الذي هم عليه)**[٢٠].

ففي أحرج المواقف السياسية وفي اقصى حالات الحرج العسكري وحاجة الامام الى الأنصار، كان واليه على الكوفة ابو موسى الاشعري غير متفق في الرأي مع الامام ع؛ لذلك لم يكن مشجعاً للناس على نصرة الإمام بل كان يدعوهم الى الاعتزال، فقال: **(إنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب... فأغمدوا السيوف، وانصلوا الأسنة، واقطعوا الاوتار، وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الامر، وتنجلي هذه الفتنه)**[٢١]، وقد اتخذ الإمام عدة اجراءات سليمة بحقه، ابتدأها بإرسال كتاب شديد اللهجة وطلب منه أما القيام بوظيفته كوالي تجاه الدولة أو اعتزال الأمر برمته، فمع حراجة الظروف السياسية والعسكرية والمخاطر التي تهدد وضع الدولة لم يخرج الامام عن السلمية في معالجته لمواقف اتخذها مخالفوه في الرؤية والعمل على الرغم من كونه القائد الاعلى للدولة وهم كانوا ولاة لديه.

وفي اعقاب معركة صفين مال الناس الى الدعة واراحة وتقاعسوا عن اداء واجباتهم تجاه حدود العاصمة الاسلامية آنذاك، بل تكاسلوا حتى عن دفع خطر جيش معاوية واعتداءاته على اطراف عاصمتهم[٢٢]، ومع ذلك كله لم يرغب الامام اكراههم على خوض غمار الحرب، حتى أنه قال:**(أيها الناس انه لم يزل امري معكم على ما أحب حتى نهكتكم**

---

(١٩) الجامع الصحيح, الترمذي، ص٦٠٤؛ البلاذري: انساب الاشراق, ج٣, ص٩.
(٢٠) الاخبار الطوال, الدينوري, ص٢٠٥.
(٢١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري, ج٤, ص٤٨٢؛ وينظر: ابو داود: السنن, ص٧٠٩؛ ابن ماجه: السنن, ص٦٧٢؛ الترمذي: الجامع الصحيح, ص٦٠٥.
(٢٢) ينظر: الغارات، الثقفي, ج٢, ص٣١٢.

الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك،... وكنت أمس ناهياً، فأصبحت اليوم منهياً، وقد احببتم البقاء، وليس لي أن احملكم على ما تكرهون)[٢٣]، فالإمام لم يحاول إجبار أحد على مناصرته والوقوف معه، ولم يدفعه ذلك الى التضييق على معارضيه أو مساومتهم، بل ترك لهم حرية الخيار في التنقل مع ضمان كافة حقوقهم، فهو منح **(حق حرية الحركة والتنقل حتى لأولئك الذين كان يخشى أن يتحركوا ضده)**[٢٤].

وعندما تسلل بعض أهل الحجاز ملتحقين بمعاوية لم يضيق عليهم الامام ولم يتعقبهم أو يتخذ تدابير لمنعهم من ذلك، وكل ما فعله هو بيان سوء اختيارهم وتكالبهم على الدنيا وخذلانهم للحق بعد معرفته، وكتب الى واليه على المدينة سهل بن حنيف: **(... فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مودهم، فكفى لهم غياً... وإنما هم أهل دنيا، مقبلون عليها، ومهطعون اليها، وقد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا ان الناس عندنا في الحق أسوة، فهربوا الى الاثرة فبعداً لهم وسحقاً)**[٢٥].

فلم يكن لديه سجين رأي أو حبيس (سياسي) وعندما جاهر الخريت بن راشد عن نيته في الخروج على الإمام بقوله: **(إني غداً لمفارقك)**[٢٦]، فلم يعاقبه أو يحبسه ورفض مشورة من أشار عليه بحبس الخريت ومعاقبته مُبيناً بأنه لا يمكنه الوثوب الى عامة الناس ومعاقبتهم حتى يُظهروا العصيان فعلاً[٢٧]، فقال ع: **(لا آخذ على التهمة، ولا أعاقب على الظن، ولا اقاتل الا من خالفني وناصبني وأظهر لي العداوة، ولست أقاتله حتى أدعوه وأعذر اليه، فإن تاب ورجع الينا قبلنا منه وهو أخونا وإن أبى إلا الاعتزام على حربنا إستعنا الله عليه وناجزناه)**[٢٨].

---

(٢٣) نهج البلاغة, ص٤٠٦.
(٢٤) الامام علي ومشكلة نظام الحكم, محمد طي, الغدير للدراسات، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص١٢١.
(٢٥) نهج البلاغة, ص٦١٤؛ وينظر: الهنداوي: مع الامام علي, ص١١٢؛ نعمة: فكرة الحريات, ص٩٤.
(٢٦) تاريخ الرسل والملوك, الطبري، ج٥, ص١١٣؛ ينظر: البلاذري: انساب الاشراف, ج٣, ص١٧٧.
(٢٧) ينظر: الغارات، الثقفي, ج١, ص٢٢٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك, ج٥, ص١١٥؛ ابن الاثير: الكامل, ج٣, ص١٨٣.
(٢٨) تاريخ الرسل والملوك, الطبري، ج٥, ص١٣١.

فعارضوه آمنون على حياتهم ومتمتعون بكافة حقوقهم واستحقاقاتهم، فكان يقول عن الخوارج بعد معارضتهم له ووقوفهم ضده: **(إنا لا نمنعهم الفيء ولا نحول بينهم وبين دخول مساجد الله ولا نهيجهم ما لم يسفكوا دماً وما لم ينالوا محرماً)**[٢٩]، وهذا يعني إعطائهم الحقوق السياسية والدينية والاقتصادية ما لم يبلغ بهم الحال الاضرار بأمن الدولة ومقدراتها.

فالإمام علي ع أراد للمعارضة السياسية ان تبقى ضمن الاطار السلمي ولا تتجاوزه الى حمل السلاح والوقوف بوجه السلطة الشرعية وان كان يسمح لهم بانتقادها، ومع ذلك فقد كان ع يبين للناس سلامة موقفه ويعري بعض الذين حملوا لواء المعارضة للانتفاع منها، وهذا ما اطلق عليه بعض الباحثين اسم (التفكيك)[٣٠] وهذا ما حصل مع الاشعث بن قيس حينما اعترض كلام الامام في مجلس عام عندما كان الامام يصف فعل الخوارج ويذمهم فقال الاشعث: **(هذا الكلام عليك لا لك، فقال علي ع ما يدريك ما علي مما لي، عليك لعنه الله ولعنة اللاعنين! ... والله لقد اسرك الكفر مرة، والاسلام أخرى، فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك، وان إمرء دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يأمنه الأبعد)**[٣١]، فالإمام بين غدره، وكشف زيفه لأجل ان يطوِّق التشويش الذي حصل بسبب كلام الاشعث الذي تحركه المصالح لا المبادئ.

وإجمالاً فقد اتبع الإمام ع عدة وسائل في مواجهته للمعارضة السلمية منها:

١- الحوار: وهو من الوسائل المهمة التي انتهجها أمير المؤمنين ع، فهو أسلوب علمي وهادف للوصول الى الحقيقة وتشكل القناعات، ويعد المنهج الانجع في القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية ونحوها، وهو الوسيلة التي **(يعبر فيها الانسان عن فكره بطريقته الخاصة في رفضه او قبوله لأفكار الآخرين في موقع الحرية الرحب الذي**

(٢٩) انساب الاشراف، البلاذري، ج٣، ص١٧٩.
(٣٠) ينظر: حقوق الانسان, الداماد، ص٢١٢.
(٣١) نهج البلاغة، محمد عبده، ج١، ص٥٦.

يمنح الانسان الأمن من الاضطهاد في حركة الصراع... وهو الذي يبلور الافكار ويصفيها من الشوائب كلها ويرفع عنها الكثير من الغموض، ويوضح الكثير من مفرداتها من خلال عملية الأخذ والرد)[٣٢].

والامام عندما ينتهج الحوار ويلتزم به، إنما يظهر روح التسامح ويمنح الفرص أمام الرأي العام ليوجه اليه الانتقاد في سياسته وكذلك يعطي المنشقين فرصة مراجعة النفس والعودة الى الرشد والانضمام لصفوف الامة عن قناعة ورضا[٣٣]، فعند أول بادرة انشقاق وتفتيت لوحدة الامة التي استغلها بعض معارضيه للوصول الى مآربهم، متخذين من المطالبة بدم الخليفة عثمان ذريعة لهم، خاطبهم قائلاً: **(يا إخوتاه! إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوة والقوم على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم، وهاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، والتفت إليهم اعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه؟ وإنَّ هذا الأمر أمر جاهلية، وان لهؤلاء القوم مادة، إنَّ الناس من هذا الامر – اذا حرك – على امور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك، فأصبروا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق مسمحة، فأهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم به أمري، ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة، وتُسقِط مِنَّة، وتورث وَهناً وذلة وسأمسك الامر ما استمسك، واذا لم أجد بُداً فآخر الدواء الكي)**[٣٤].

وهنا اراد الامام يلخص لمعارضيه حال الدولة الاسلامية من جهة اختلاف ابنائها في هذه المسألة، فمنهم من يؤيد المعارضة ومنهم لا يرى صلاحاً بخروجها ومنهم من اعتزل الفريقين، وان أي اضطراب في الموقف سيؤدي الى اشعال فتنة لا يمكن السيطرة عليها،

---

(٣٢) الحوار في القرآن, محمد حسين فضل الله، بيروت , ط١ ,١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م , ص٢٢ ؛ وينظر: ختام راهي مزهر، الامام علي وآفاق المعارضة , ص١٢٤ .
(٣٣) ينظر: السيف والسياسة, الورداني، ص١٨٥ .
(٣٤) نهج البلاغة, ص٢٩٢ – ٢٩٣ .

وقد تمكن الإمام في حواره هذا من وضع النقاط على الحروف بغية إرشاد الضال وهداية المسترشد وإلزام المعاند اقامة للحجة ودفعاً للباطل.

وقد كتب لطلحة والزبير قبل ان تقع حرب الجمل، فقال: **(فقد علمتما، وإن كتمتما إني لم أُرد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني، وانكما من ارادني وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر، فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب، وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة واسراركما المعصية، ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان، وان دفعكما هذا الامر من قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به، وقد زعمتما اني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل، فأرجعا ايها الشيخان عن رأيكما فان الان اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والنار)**[٣٥].

فالإمام هنا يحرك الفكرة عند محاورته لخصمه بروح انسانية هادفة الى إصلاح الآخر وانفتاحه على الحق **(فيفتح الباب امام الاحتمالات كلها لمراجعة النفس والنزوع عن الخطأ، ثم محاولة ايجاد طرف محايد قد شاهد الاحداث وعرف المذنب من البريء وهو من تخلف عن الطرفين من اهل المدينة ليحكم على من كان الاقرب الى عملية القتل، ويظهر الامام هنا على ثقة عالية ووعي تام بالحق الذي يتبعه بعد ان جعل كلا من طلحة والزبير السبيل له عليهما كما عبر)**[٣٦].

وكان الامام هادئاً في حواراته حكيماً في طرحه الى بعض معارضيه الذين اشتبه عليهم الحق بهدف اعادتهم الى رشدهم، كما ختم حواره مع طلحة والزبير اذ قال لهما: **(أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر، ثم قال: رحم الله امرأ رأى حقا فأعان عليه، أو رأى جورا فرده، وكان عوناً على صاحبه)**[٣٧].

---

(٣٥) نهج البلاغة، ص٥٩١ – ٥٩٢ .
(٣٦) الامام علي وآفاق المعارضة, ختام راهي مزهر، ص١٢٦.
(٣٧) نهج البلاغة, ص٤٠٥.

اعتمد الإمام منهجاً قرآنياً في حواراته مستلهماً ذلك من قوله تعالى: **(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[٣٨] والذي يعني دعوة الطرفين الى تحري الحق. هذا من جهة ومن جهة اخرى اوضح الامام ان المجال مفتوح لنقد السلطة ومراقبة أدائها.

لقد عمل أمير المؤمنين ع على استثمار الحوار في تهدئة الصراعات وحل الخصومات من اجل ان يعم الامن ويحل السلام وتنحسر الخلافات والنزاعات، فكان ينتهج الحوار ويختاره دون سواه، ويتمسك به كلما استطاع اليه سبيلاً مع اشد معارضيه وأشرس خصومه، بل استعمله حتى مع الخوارج الذين كفروه وأباحوا دمه فحاججهم بأفعالهم واقوالهم التي تمسكوا بها ليكون ذلك اقطع لحجتهم وادحض لباطلهم عندما نقموا عليه قبوله نتيجة التحكيم بينه وبين معاوية فقال لهم:

(ألا تعلمون ان هؤلاء القوم رفعوا المصاحف قلت لكم ان هذه مكيدة ووهن وانهم لو قصدوا الى حكم المصاحف لم يأتوني، ثم سألوني التحكيم، أفعلمتم انه كان منكم احد اكره لذلك مني، قالوا: اللهم نعم، قال فهل علمتم انكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم اليه، فاشترطت ان حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل، فإن خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء وانتم تعلمون ان حكم الله لا يعدوني، قالوا: اللهم نعم)[٣٩]، وأثمر هذا النهج الحواري بعودة الفين منهم الى صفوف جيش الامام[٤٠]، واستمر تراجعهم عن موقفهم المتزمت تجاه الامام علي ع حتى انخفض عددهم الى الربع بعد سلسلة حوارات الامام معهم.

٢- تلبية المطالب: بعد مرجلة الحوار يأتي دور تحقيق المطالب المشروعة والتي تصب في الصالح العام، فلأمام علي ع لم يكن جليس داره وينتظر مجيء مشاكل الامة ليفكر بحل لها بل كان يفتح باب النقد لحكومته لكي يسمع مشاكل ابناء مجتمعه ويحاور المعترضين

(٣٨) سورة سبأ: الآية: ٢٤.

(٣٩) تاريخ الرسل والملوك, الطبري، ج٥, ص٨٤؛ ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة, ج٢, ص٢١٦-٢١٧؛ المبرد: الكامل, ج٢, ص١٣٥؛ وينظر: المنقري: صفين, ص٤٨٩.

(٤٠) ينظر: الاخبار الطوال, الدينوري، ص٣٠٩؛ المبرد, الكامل, ج٢, ص١٣٦؛ ابن الاثير: الكامل, ج٣, ص١٦٦؛ اليعقوبي, تاريخ الرسل والملوك, ج٢, ص١٦٨.

على سياسته لكي يسمع مشاكل ابناء مجتمعه، ويحاور المعترضين على سياسته ليتكمن من تلبية مطالبهم وليس لامتصاص نقمتهم او استدراراً لعاطفتهم أو جلباً لرضاهم بل إيماناً منه بضرورة تلبية المطالب المشروعة وإن خالفت قناعته، كما حصل ذلك عند موافقته على مطلب الخوارج بقبول التحكيم دفعاً لتعميق الخلافات أو تفاقم الامور، ولطالما استجاب لشكاية حول والٍ من ولاته او عامل من عماله وبادر الى عزله ومحاسبته بعد ان يثبت تقصيره.

٣- الوعظ والارشاد: من الاساليب السلمية التي اعتمدها الامام في مواجهة المعارضة السياسية اسلوب النصح والموعظة التي يمزجها احيانا بالعتاب والتبكيت بهدف اثارة الدافع العقيدي عند معارضيه وتذكيرهم بقيم الاسلام الحنيف لئلا يندفعوا وراء مغريات الدنيا التي ربما تخرجهم عن جادة الصواب وتدخلهم في سبيل الباطل طلباً لدنيا فانية او منفعة زائلة تغريهم بالمطالبة بمكاسب اكثر مما يستحقون أو ميزات هم لها غير مؤهلين، فكان يقول مذكراً: (... **ألا إن هذه الدنيا التي اصبحتم تمنونها وترغبون فيها واصبحت تغيضكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له، فلا تغرنكم فقد حذرتكموها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله والذل لحكمه جل ثناؤه)**[٤١].

واستعمل الامام الوعظ في مواجهته لبعض معارضيه الذين اشتروا ضمائر ومواقف بعض ضعاف النفوس الذين اخذت الاموال مأخذها منهم حتى أشار عليه بعض مناصريه قائلاً: **(يا أمير المؤمنين أعط هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن تخاف خلافه من الناس وفراره)**[٤٢]، فأمتنع الامام عن اتباع مثل هذه السياسة ولم يرض اصلاح المجتمع على حساب المبادئ والثوابت، فقال: **(أتأمروني أن اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما اطور به ما سمر سمير، وما ام نجم في السماء نجما، لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال**

(٤١) شرح نهج البلاغة, ابن ابي الحديد، ج٧, ص٣٣.
(٤٢) الغارات، الثقفي, ج١, ص٤٨؛ وينظر: ابن قتيبة: الامامة والسياسة, ج١, ص١٢٥.

الله!؟ أي وان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الاخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله)[٤٣]، وقد عالج امير المؤمنين ع كثيرا من الظاهر الاجتماعية المضرة بأبناء الامة معتمدا بذلك على الموعظة التي كان يوجهها الى بعض رؤساء القبائل وزعماء العشائر بعدما تثاقلوا عن نصرته وعارضوا منهجه والتحقوا بمعاوية، مبينا لهم ان ما يسعون اليه من حطام الدنيا وهم وسراب، وان نصرهم للحق وان لم يجلب لهم منفعة خير لهم وابقى من دنيا يغنمون بعض فتاتها بالخيانة والغدر ومناصرة الباطل، وكان يوجه خطابه احيانا الى المستضعفين من ابناء الامة فيرشد الضال منهم ويهدي المسترشد لئلا يفتنهم زعماؤهم من خلال الوعود الزائفة والمغريات الباطلة التي تحبب لهم الباطل وتنفرهم من الحق، ولعل هذا ما يعلل لنا وتجنيبه الوقوع في فخاخ الشيطان واتباعه الذين يعملون على شق الصف وايجاد البلابل وزرع الفتن بين الامة وقياداتها الشرعية.

إعداد

م. م. ستار عويد علي

أ. م. د. ياسين خضير مجبل

(٤٣) نهج البلاغة, ص٢١٨.